مرايا على الطريق

بقلم :زينة مدحت

المقدمة

في حياة كل منا، مشاهد تستوقف مروره في هذه الدنيا

وما كان ذلك ليحدث، إلا إذا كانت تلك المشاهد..مرآة صادقة تعكس جزءاً خاصا منا، لا نراه..إلا إذا شاهدناه

.....

وودت لو تكون مقدمتي هي أغنية الملك محمد منير في رائعة يوسف شاهين..حدوتة مصرية

قابلت في الطريق..قلوب كتير بريئة

أعرف بشر، عرقوني ... لأ

لأ... ما عرفونيش

قبلوني، وقبلتهم

بمد إيدي لك ..طب ليه ما تقبلنيش

لا يهمني..إسمك

لا يهمني..عنوانك

لا يهمني..لونك، ولا بلادك

يهمني الإنسان ..ولو ملوش عنوان

يا ناس..يا ناس يا مكبوتة

هي دي الحدوتة...حدوتة مصرية

1. بداية

سأطير معكم..لأرض لم أعرفها من قبل
وأصنع جناحين من حرير وردي، كأحلامي

عليَّ أنسى أرضاً سوداء..سكنت عقلي الذي تاه مني، وأنا أبحث عنها

2. ضد التيار

عنيدة جدا...تأبى كل نصيحة، وإن كانت في صالحها
كلمة .."لا"، هي المفضلة لديها، وإن لم تصرح بها

حتى ترى نفسها وحيدة.. تمشي في هذا الطريق
تضربها تلك الرياح العاصفة

فيجاري شعرها ذلك التيار، قائلا: نعم
أما عقلها..فلا لا لا

فلينساني الزمان
========

في صباح كل يوم .. و أنا قي طريقي للعمل، أمر على الجندي المجهول
أتسأل بيني و بين نفسي..سؤال لا يخلو من الدهشة التي قد ترتسم على ملامح وجهي في كل مرة أفكر في هذا الأمر

هل من الممكن أن يقبل إنسان على نفسه أن يمر في هذه الحياة بما أنجزه فيها ..و عاش فيها ما عاش ، وضحى فيها ما ضحى...دون ذكر له...و إذا ذكر، فهو مجهول

لطالما كنت دائما حريصة على تطبيق مقولة هامة جدا..والتي ربما أصبحت جزء من تكويني..بل و الأكثر من ذلك..ربما هي محور هام تتمركز حولها حياتي بكل ما فيها من سكون و حركة..هدوء و ضجة..رضا و سخط وكانت، هو إنني لن أغادر هذه الحياة إلا وقد حفرت أقدامي أثرها على حجر الزمان

أحلم بأن أتناول واحداً من أضلع المربع الذهبي الذي لا تخلوا أحلام أي إنسان طموح من تحقيقها ، وهي الشهرة، المال، النفوذ، و القوة....

ولكن كيف إستطاع من سبقونا أن يخلدوا أسمائهم عبر سنين طوال ..بل وقرون أيضا
ولم لا أخلد إسمي مثلهم، و أصبح جزءا من التاريخ....الله أعلم إذا ما كنت سأذكر بخير أو بشر بعدها..إلا إني أرجو أكون من الصنف الأول....

لكني أعلم بأني لا أريد أن أكون نسيا منسيا....خاصة أن ما بداخلي يستحق أن يذكر..مثلى مثل الألاف المؤلفة التي جاءت دنيانا هذه وغادرتها دون أن نعرف عنهم شيء

كانت تلك الكلمات التي قرأتها السيدة الوقورة في مذكرات إبنتها الصغيرة..هدي، فلم تتمالك نفسها من البكاء، و غرقت عيناها بالدموع، فلم تستطع أن تكمل قرائة الكتوب، حتى تمسح ما تناثر على خدودها الوردية الذابلة..

إلا أنني أراجع نفسي مرة أخرى، وأقول..أن ما كان لهؤلاء العظماء أن يخلدوا لولا هؤلاء الجنود المجهولين ...

لماذا إقتصر نظري على لبنة واحدة وكنت قد نبذت وجودها ..و لم أرى المبنى ككل..فهذا من ذاك..وما كان ليكون هذا إلا من ذاك..
إلا إنني في النهاية لا أزال، أرفض بأن أكون ذلك الجندي المجهول

ثم أفكر مرة أخرى، وأقول ماذا سأستفيد إذا ما خلدت ذكري....هل سأكون وقتها حقا إستمتعت بحياتي و لم أنس أن أحظى بنصيبي منها
الاجابه هي ...بالطبع لا

إن تحقيق هدف ما، وخاصة كهذا.. لا يتم إلا إذا كان هناك مقابل له..و إني أرفض أن يكون المقابل هو لحظة دفء بين عائلتي، أو همسة خشوع بين يدي ربي، أو حتى شربة ماء من يد عزيز وغالي

إنني أرفض بأكون شجرة عريقة الجذوع، عميقة الجذور،كثيرة الأغصان، كثيفة الأوراق..وفي نهاية الأمر تقع إذا ما لعب الدهر لعبته معها

وسأقبل بأن أكون نبتة صغيرة، تداعبها قطرات الندى وتتراقص أشعة الشمس بين وريقاتها صباح كل يوم مشرق..تأكلها دابة تائهة في طريقها الضال ، علها تتقوى بي على زمانها و زماني
وحينها فقط سأقول... فلينساني الزمان

ولكن لم يستطع أحد منى..أن ينسى هدى، وقد رحلت !!

3. تذكرة

يعطيني التذكرة ، ويقول: إحتفظي بها حتى مكان الوصول، وإلا غرامة
أجلس في طريق العودة..مكاني، وأفكر فيما جرى
تعصف بي الأفكار ..كيف ذهبت إليه و كيف رحل عني

أمزقها...ولاأدرك ذلك إلا بعد أن أراها مقطعة بين يدي
يأتي محصل التذاكر..ليحاسبني
فأقول : هلا سامحتني، على لحظات عشتها في عالم أخر، ولم أعي بما حدث هنا

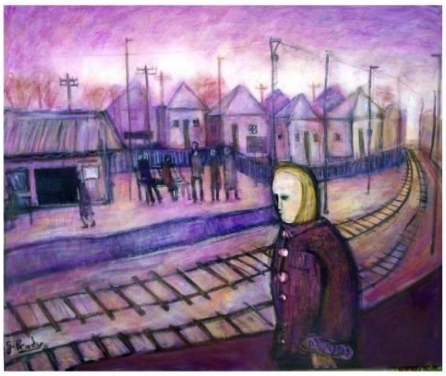

4. في المقهى

هي..من طبقة راقية، لا تتنازل عن مستوى معين تعرفه، ويعرفها

يصيبها الملل..وتشعر برتابة الحياة في أوصالها..وكأنها بردت
بلا نكهة مميزة..تجعل منها قصة فريدة من نوعها

أمر على المقهى الشعبيى
أرها، ولا أصدق أنها، هي.. مبتسمة و سعيدة
تتأمل الناس عن قرب، و تحتسي الشاى الدافيء

قائلة : إقتربي مني أكثر..لتعرفي من أكون

في عيون نظارة
========

داخل ذلك الكيان الأبيض..المسمى بالأتوبيس، حيث إنك إذا ما تفحصت أمره من قريب غير مظهره المكفهر من بعيد، فإنك بلا شك..ستجد ألا علاقة تربط حداثة إسمه الذي إقترن بقدم فعله

فكل جزء منه يشهد بمتلاء أحشاء الدهر إذا ما أكل عليه وشرب...فتحول بفعل عوامل التعرية إلى شئ، أقرب ما يكون لصفيحة أكلها الصدأ، فوق زير قذر.. في شارع عام

تضطر بكل ما فيها من أسف عليه أكثر من ذلك الذي على نفسها..ركوبه
فتجلس واضعة حقيبة الحاسب الألي على فخديها و النظارة السميكة بعينيها..وتنظر إلى هؤلاء المغلوبين على أمرهم، من العوام

مكانها، خلف السائق مباشرة حيث لا يفصل بينها وبينه إلا لوح زجاجي..وهو مكان مميز أيضا في جعلها بمأمن من الإختلاط بهؤلاء الشرذمة

مجعد الوجه ونظارة، سمكها ...قعر دستة أكواب زجاج
طفل غبي لا يعرف سوى الصراخ كلاما، والأم طفلة
شباب، لغتهم أغاني هابطة، والبنطلوات الساقطة
ألوان خضراء وصفراء للإعلان عن وجود محل لبيع الببغوات على رأس محجبة رعناء
عبائة سوداء، أطلت من تحتها ظفائر بيضاء.. لعجوز بدينة شمطاء
شكارة أسمنت وجلباب مهلهل، وعدة بناء
ليست حقيبة يد لأمرأة، فهي مليئة بالأغراض حتى الهامة التي بها ستنفجر، واجبٌ دفعُ تذكرةٍ عنها.. وكأنها مكان رجل

تتأفف، والضجر قد صاحبها في ذلك الطريق...حتى إنطبقت عليها مقولة، رضينا بالهم

وفجأة ..يفرمل السائق، فتجد وجهها وقد إرتطم بذلك اللوح الزجاجي، حتى توحد هو، و زجاج نظارتها المترامى حوله، فما عادت ترى شيئا بنظرها الضعيف، غير ذلك الإحساس بدفئ كل من حولها

الحقيبة، شكارة الأسمنت، الضفائر البيضاء، الببغاوات والأغاني...حتى صراخ ذلك الطفل
أحاطوها بسؤالهم عنها.. ما إذا كانت بخير
حينها أحست، بتحسن الرؤيا في عيون نظارة ذلك الرجل العجوز

5. التائهة

بين الدروب..ساقها ذلك الفضول
بحثاً عن أمر مجهول

ظناً أن ستلقى ما خفى، فكان أعظم
أملاً بأن تجد شيئاً ..غير الدمع والألم
جفت فوق خديها..فمسحت ملامح وجهها المبتسم

حتى وجدت نفسها تائة، كدمية بين يدي القدر
تسأل، متى سأعود إلى أمي..وأين المستقر

6. أريد أن أطير

البنت : هل لي أن أطير..مثلهم

الأم : لكن كيف وأنت بلا أجنحة

البنت : أنظر لمدى السحاب، فهو فوق صدري..ليس بعيدا
وهذا الهواء المنعش يمر بفستاني

الأم: إذا أردت الطيران..فلا تبكين، إذا ما وقعت

الإنتظار
========

في تلك الحديقة..وعلى تلك المسطبة، رأيتها جالسة..تنتظر

تجول بنظرها بين هنا و هناك

هل سيأتي؟؟

ربما نعم ..و ربما لا

لا تدري
إلا أن الأمل لا يزال يطرق أبوابها

كلما مر من أمامها شخص..تنظر جيدا ..عله هو
إلا أن بصرها يرتد إليها بخيبة الرجاء

بين أمل و رجاء ..تنتظر قدومه

الإنتظار..لحظاته طويلة مهما قصرت

و للانتظار صفتين ملازمتين

الأولى..أمل بأن يتحقق ما يتمناه المرء، والثانية ..رجاء يصاحبه سكون تاه في طريقه إليه

هو نوع من الصبر ربما...لا أدري

و تظل تنتظر
وتلقى بنظرها بعيدا..حتى أخر مداه

ولا يزال السؤال يحفر وجدانها، حتى يكاد يصل إلى نهاية بئر حرمانها... هل سيأتي
ربما حدث حادث تأخر على أثره...
تفترض الأسؤ ، و تتوه بين هذا و ذاك من الاحتمالات التي لا تنتهي

أنظر إليها..إلى ملامحها..هل تعبت حقا من طول الانتظار..هل أجهضت ذاك المولود الذي يسمى بالأمل

حقاً...لا أدري

لقد تعبت من أجلها..وأتعبنى صبرها و إنتظارها
فإلى متى..ستقبل أن تكون مفعولا به ..لا فاعل

ارجو أن أجد إجابة لسؤالى هذا إذا مررت غدا ..ولم ألقاها

فلم تكن تلك المرأة ...إلا أنا، أجلس منتظرة عودتك إلى فأنعم بجمال المنظر في حديقة حبك

7. مشهد رحمة

رأيت كلباً أبيضا، مرقطاً بسواد قطة يحملها بين فكيه

لا أدري من أين أتى بها، ولا أفهم كنه إستسلامها

فلقد كان يهرول بها ..لينقذها من الموت

8. إنكسار

أمر على الحديقة، تعجبني تلك الوردة
أقطفها..وبالماء في ضوء الشمس أرويها

أخذتها، لأنها مثلي..في كل مرة أقول فيها لقد إنتهيت، ولم يبقى مني شئ

فأراها تقول: نعم، كنت أحتال عليك بغير قصد، وإن قصدت
فإعذريني إذا ما رأيتني مكسورة
لأنه لا يكسرني شئ
إلا عينيك مع الضوء..عليك تكذب

ظل إمرأة و كلب
========

تنزل من بيتها مساءاً، وبعد خطوات قليلة
تقف، لتشير لأول تاكسي يمر بالقرب منها

تجلس خلف ذلك السائق الذي تعدى عمره نصف قرن من الزمان، حتى بدا ذلك واضحاً في بياض بعض خصلات شعره، كهلال أضاء بعضاً من عتمة ذلك الليل

يمشي بها في ذلك الشارع الأخرس، قاطعاً صمته بسؤال ألح عليه

- إيه الشارع الظلمة ده..يعني مفيش لمبة واحدة توحد ربنا..الحياة بقت حاجة صعبة أوي دانا إللي إسمي راجل..والله أخاف أمشي فيه لوحدي

نظرت في مرآته الصغيرة حيث عينيه ..فرسمت إبتسامة ساخرة، وقالت :
- إللي يخاف يمشي في الظلمة، عمره ما يقدر يمشي في النور

كان يجهل ذلك السائق، أنها قضت ليلتها الماضية في نفس ذلك الطريق الأعتم مشياً على الأقدام، حيث لم يرافقها غير ظلها وكلب ضال..تاه في طريقه المظلم، حتى ألف تلك العتمة

ولم يكن ذلك عن شجاعة منها، وإنما حالة يائس كئيب..جعل منها جسدا بلا روح

ونست أن ركبتيها تتخبط رعباً من كلاب النهار، إذا ما لمحت خيالهم ينبح !!!

9. حرية

بعد الإمتحانات..ينطلقون من ذلك السجن الضعير، وحدود الكتاب الغبي، و المدرس الأبله

فأرى أقدامهم الحافية..تجري بهم بين تلك الطرقات
فتصبح أكثر سواداً منها، ويصبحون أكثر سعادة

فتمسح كل ما حاول أن يعلق في أذهانهم من هذاينات
لتطير مع الضعيرة التي تحوم فوقهم..محررة من قيد إسمه النجاح

10. السكير

شرب من ثغرها حتى ثمل..عله ينسى
وركض خلفها في الطرقات حتى وهن..فينام ولا يأسى

لكنه نسي..أنها في كل ليلة، تزور الأحلام
وألا مفر من سلطان النوم..فهو عليه أقسى

هديل الليل
========

بينما أنا جالسة ليلاً في هدوء مصطنع من أثر إستذكار مادة المحاسبة، بكل ما تحمله من تفاصيل مملة، لا تمت إلى ما قمت بدراسته من الهندسة بصلة

يعلو على صوت الأفكار التي تقطع سكون الليل مما قد آل إليه المأل في ذلك التحول الجذري من دراستي إلى واقع العمل، وما فرضته الظروف، حتى جاريتها.. صوت غريب
أتجاهله وكأني لم أسمع شيئاً

يعلو أكثر فأكثر، يثير فضولي، لأتتبع مصدره
فأجد زوجين من الحمام، قد تعاركا، حتى خرج الذكر من العش..تاركاً تلك الجميلة لحسنها
أنظر إليه، فأراه، مكفهراً، متمردا عليها
قائلاً لنفسه: سأتحمل برد ليل الشتاء، عن معاشرة تلك الشمطاء

لكنني بعد قليل، أرها.. تخرج هي الأخرى من ذلك العش الذي إمتدت أوراقه إلى نافذة غرفتي المغلق إلا عن رؤية ما يدور بينهما

أجدها، تتمايل بدلال غير مفهوم، ربما قد بنته على ثقة زائدة بنفسها اللبلهاء

تداعبه..فيذهب عنها خطواتٍ قليلة، ثم تداعبه أخرى..عله ينزل عن بغلته الغبية، تلك المعلقة على الغصن الثاني من الشجرة

ينظر إليها، بضجر غاضِب من فعلتها..فلا تصد أو ترد بأكثر من تكرمها بالخروج إليه.. فتتركه و تدخل العش

يكاد يتمزق غيظاً، وهي تتمادى في التمثيل بالا مبالاه

لكنها تشفق عليه من البرد..فتخرج مرة ثانية، يكاد يلمح في عينيها أنها الأخيرة
تأتي لتدس رأسها الصغير في ريش عنقه الناعم بحنان

يميل عليها، ليغمز لي

يدخلان العش
و أعود لأوارق المحاسبة
..

يسود الصمت
ويختفى الهديل

11. الموقف

إتفقا على الخروج سويا، وتم اللقاء
ولكن ما حدث، أوقعها في فخ الإختيار بينه وبين هاتف باغتها، بأن أمها مريضة، وعليها الذهاب إليها فوراً

كانت كلماته الأخيرة لها: هيا إذهبي لأمك..وإطمئني عليها
و بنظرة مكسورة..ترتكته، ومضت

ودع قطارها الماضي، بإبتسامة كاذبة.. وحيدة مثله في ذلك الموقف الخالي.. بأنه فعل ما كان يجب فعله

12. إلى أين ؟؟

بين الطرقات..أقف، لأختار الطريق

لا أدري إلى أين أذهب
وأخشى إذا ما إنطلقت..بأن أتعب

و لا أعرف كيف أعود، وإلى أين المهرب
فالقرار ...أكثر مما أتصور، كان أصعب

الموت..صديقاُ
========

لطالما كانت تنظر إلى تلك السيارات، وودت لو أنها تملك الشجاعة، فتكتب نهايتها تحت عجلات إحداهن، فتريحها من ذلك العالم للأبد، لتبدأ رحلة جديدة داخل عالم مجهول، لا تعرف منتهاه
لا تزال يداها ترتعش من أثر تلك الصدمة...فلقد رأته رأي العين..وجها لوجه
ليس بينها وبينه حدٌ في طول أجل، أو كبر سن، أو حتى مرض عضال..بل مجرد لحظة تفرق بين الموت والحياة..حين تكون الثانية، طموح بعيد المنال..والخطوة حلم، تحقيقه محال

تسترجع بذاكرتها لتتأمل، ما حدث..تحاول أن تحيط بالمكان والزمان، فلا يسقط منها شيئاً في حفرة النسيان
فأول ما تسترجعه..هو حالها قبل تلك الحادثة
كيف هو إحساسها بالأشياء؟؟
هو إحساس الشيء.. باللا شيء

تقف على الرصيف، وكل طموحها في أن تعبر الشارع، وما أن تبدأ في وضع أول خطوة لها، تجد ذلك الميكروباص بسرعته، يكاد يقترب منها، ولا تملك في تلك اللحظة أن ترجع مرة أخرى للرصيف، ولا أن تلقي بثقل جسدها علي الشارع، فيسلبها بواقي عمرها المأخوذ

حين تتلاحق التجارب الفاشلة، الواحدة تلو الأخرى..والنتيجة واحدة، وهي التي لم تتعرف على مايهة الفشل من قبل، ومع ذلك، فلم تيأس، بل كررت تلك المحاولات مرات عديدة، حتى فقد اليأس، الأمل.. في أن تيأس منه
و أصبح عقدة في ثوابتها، لا تتنازل عنه إلا بالموت دونه

فلا تجد أمامها حلاً لتنقذ حياتها في تلك اللحظة، سوى أن تتماسك بنفسها..النصف الأول من جسدها في الشارع، والنصف الثاني منه على الرصيف، أو أن ترتطم بذلك الميكروباص، فتسند عليه إذا ما مر بها، ولم يسلبها أجلها....وإذا نقص ذلك التماسك قيد أنملة..فلربما حينها، فقدت حياتها للأبد، لتزيد واحداً على الأموات ، منقصة إياه من الأحياء .

ولكن ما حدث، هو أنها بدأت تفتر، وقواها تضعف في حربها التي لا تنتهي، والوقت الذي يأخذ من عمرها أكثر مما يعطيها..ولا يردها إلا بخيبة الرجاء
فذاتها التي ملت المحاولات الفاشلة والحديث المكرر، الذي لا يتعدى، ليكون فعلاً يلامس أرض الواقع المرير، فيغيره للأفضل

وبالفعل، كانت ضربة قاسية، غير أنها إستفادت منها، في رد فعل ذكي، أن إستخدمت تلك القوة لها بدلاً من أن تكون عليها، وذلك ما كان ليتحقق لولا لحظة التمسك بالذات، مهما كانت قوة الجذب للنهاية، شديدة

تلفظ أنفاسها، بعد مروره..وما أن تدرك حقيقة أنها لازالت على قيد الحياة، تجد ميكروباص أخر يريد أن يقضي عليها حقاً، ملاحقاً الأول في جمع ما تفضل به من زبائن، لم تكتفي سيارته بأن تقلهم من أرضهم إلى أخرى يبغونها

فقررت أن تنزوي بداخلها..والصمت يكون كلامها
وتدريجياً..شيئاً فشيئاً، بدأت تفقد إحساسها بالأشياء
وبمرور الوقت..أصبحت الحياة عبئاً ثقيلاً عليها

لا يوجد من يملك الشجاعة، ليخلصها بقوة جذب فعلية، لا كلامية...تأخذها خطفاً، لتبقي عليها، وتحفظ حياتها، إلا يد الله، ومشيئته، بأن يكتب لها عمراً جديدا، تحياه فتقص به حكاية جديدة تضاف إلى ألاف القصص المقروء نصفها، فتجد نفسها، وقد وقفت على ذلك الرصيف الأخر، الذي كان مبتغاها منذ البداية

الإكتئاب الشديد الذي كانت تحياه، لم يكن هناك حل له، سوى أن ترى الموت كما تمنته دائماً وبنفس الطريقة، ومع ذلك، فالنجاة كانت هي الموت بعينه..فلم تذرف دمعة واحدة مع كل الضغط النفسي الذي كانت فيه
وتحديداً، بعدما إختتمت بتلك الصدمة، التي كانت كفيلةً بأن تعيدها من غيبوبة اليأس، لدنيا الأمل

لم يكن أكثر ما ألمها هي تلك الضربة أو دموعها التي لم تجدها..ولكن إدراكها، أنها فقدت الإحساس
فأصبحت جسداً بلا روح..أغنيةً بلا لحن، زهراً بلا عطر..إحتسبت خطأً على الأحياء، حين كان الموت عليها أرحم

فيا أيها الصديق، أما كنت لتستطيع أن تمكنها من نفسك..فترتاح للأبد بين أحضانك؟؟

13. ألوان الناس

برغم الزحام، الضوضاء..و وجوه الناس
أركض مسرعة، لألحق بالدرس..قبل أن يبدأ
ولم أتعلم منه شيئاً

لأني لا أرى فيهم إلا وجهك، ولا أسمع منهم إلا صوتك
فلا تلم علي..إن أحببت من هو مثلك

فأنت صورة في خيالي.. أبحث عنها بين أوراق الحياة
وما الناس إلا لوحات، بلا معاني..إلا أن تكون من ألوانك

14. متسول.. ولكن

في أول خروجي من البيت، بعد إنقطاع طويل عن الشارع..أجده يستقبلني بإبتسامة بلهاء مثله..كما كان يفعل ذلك، في كل مرة يراني فيها
وأدعي عندها ..عدم الإهتمام
فأقطع طريقي..وصولا إلى غايتي
فأراه أمامي..يقول : كيف حالك اليوم..فلم أرك طوال تلك الأيام..أين كنت ؟؟

بيني وبين نفسي أقول: مالك ..ومالي
وأجيبه: كنت مشغولة..هل تحتاج لشئ ؟؟
فيقول لي: لا، ليس لهذا أطلبك، ولكن لأطمئن عليك فقط
فهناك فرق كبير بين الحب والإحتياج

الأجرة ..يا
========

بعد إنقضاء يوم طويل من العمل المرهق، والتوتر العصبي فيما يتعلق بعملاء مزعجين، ومديرين مكفهرين..يلملم أ. حمدي أغراضه، ليعود سالماً غانما بما تبقى من كرامته التي إنتهكت من قبل هؤلاء الحمقى، والذين لا يعرفون إلا الصراخ حديثا لهم، معبراً عن أنفس مريضة، تبث سمها في جسده..

إلا أنه يؤثر إلا أن تيخلص من كل ذلك، قبل أن يعود للبيت، فيأخذ أولاده الصغار، ببرائتهم بين أحضانه الدافئة، ويغمرهم بحنانه، وطيب عواطفه، فما كان تحمله لذلك الشقاء، إلا من أجلهم

يشير إلى الميكروباص القادم، ويجلس في الخلف بجانب النافذة، وبجواره رجل تظهر عليه سمات الوقار، والثياب النظيفة برغم الزحام والحر الشديد!!

و على الجهة المقالبة، يجلس صبي الميكروباصجي، بنعاله الذي بدا نظيفا بالنسبة لسواد قدميه، وثيابه الرثة.. على طرف الكرسي الأمامي، قريبا من الباب، ويصيح : صقر.. معادي..حلوان..حلوان..حلواااااان

وبعد أن إمتلئ الميكروباص، بدأ الصبي يتوجه إلى الجمع قائلا: الأجرة يا حضرات

فأخرج أ. حمدي جنيهين كما هو معتاد في رحلة العودة من مدينة نصر إلى المعادي، أما ذلك الأنيق الجالس بجواره، فكان لا بد له أن يخرج ثلاث جنيهات لأنه يريد كان يريد يذهب إلى حلوان، والمسافة أبعد من تلك التي يقطعها أ. حمدي..

وكان ذلك هو السعر المتعارف عليه... لكنه لم يفعل، وأصر أن يدفع جنيهين إثنين فقط!!
لكن الصبي رفض ذلك بشدة، وأصر على أخذ الجنية الثالث..حتى ساندة السائق، وقد كان محايدا في البداية، يحاول أن شرح لذلك الأخ الرافض أن ينهي الحوار، بمجرد جنيه واحد فقط لا غير ، بل ولم يكتف بذلك وأخرج من جيبه..بعض المال، قائلا :

-إنتت مين أصلا...ده أنا معايا ألف جنيه في جيبي، بس برضو مش حاديك أكتر من إللي أنا شايفه حقك
فأجابه السائق : إيه يعني الف جنيه..ولا حاجة

نظر أ. حمدي إلى ذلك الرجل، بكل أناقته من فوق لتحت، بينه وبين نفسه قائلا: إيه إللي يخلي واحد بكل الشياكة دي، ينزل في حوار جدلي على جنيه..الناس بقوا حاجة غريبة

لكن الكثرة تغلب الشجاعة، وبعد جدال طويل إنقضى في نصف الطريق..قرر أن يدفع الرجل الجنيه الذي عليه حتى لا يوسعه الحاضرين ضربا من أثر ذلك الصداع الذي ضرب رأسهم به، من حورا عقيم في حق معروف

فمد الرجل يده بالجنيه للصبي، وأخذه الولد بالفعل، ولكنه فعل ما هو أغرب من ذلك..وكأنه ينتصر لأستاذ حمدي من كل هؤلاء الذين قاموا بإضطهاده، فأصبح في عينيه بطلا شعبياً
..فلقد ألقى بالجنيه من شباك أ. حمدي

قائلا : يا بيه..أنا حر نفسي..وربنا هو إللي بيرزقني، مش إنت، والكلمة الحلوة أحسن بكتير من الكلمة الناشفة يا بيه..إللي يحط الجنيه فوق راسه....يوطى

ساد الصمت..ولم ينطق بعدها أحد ببنت شفه، إلا أ. حمدي، رسم إبتسامة هادئة للصبي، حزيناً على حاله، وقد رأه يشعل السيجارة، لينفس عن ذاته من هؤلاء الحمقى

15. لحظة وداع

على الطريق...أجد الفراق يجمع بين هذين العاشقين

في لحظة وداع.. سرقا تفاصيلها من الزمن
وذلك قبل أن يسرق كل واحد منها، من الأخر

16. النهاية

ترجته أن يكف عن إيذائها، وجرح كرامتها في كل مرة يقول فيها : إرحلي..إذهبي، فإرتباطنا..ليس من حقنا

ولكنها كانت تعود مرة أخرى إليه في كل مرة ترى فيها دموعه
مشفقة عليه..ألم الرحيل

لكنها تعبت، وسأمت ضعفه في مواجهة المستحيل

ويبقى سؤال كلبه الأسود حائرأ مثله..من كان المخطئ ؟؟

العجوز..تشبهني

========

تقف في الزحام والحر، ويطول إنتظارها..كلها أمل، أن تجد وسيلة تقلها من عملها إلى منزلها بسلام..إلا أن الياس يدب أوصالها، فتقرر بأن تخرج من حقيبتها الإم بي 3

وتفتحه لتسمع أغنية عبد الوهاب.. بصوت نجاة الصغيرة "يا مسافر وحدك" ،، فتداعب أذنيها رقة تلك الكلمات..وتسرح في جمال تلك اللوحة الفنية الرائعة

يا مسافر وحدك، وفايتني

ليه تبعد عني، وتشغلني

ثم لا إراديا تجد نفسها وقد إستقرت بالقرب من إمراة عجوز تشبهها كثيرا إذا ما كبرت..كان قد ترك الزمن أثاره الواضحة على معالم وجهها من تجاعيد، وضفيرة بيضاء أطلت من تحت وشاحها الأسود ملتقطا أنفاسه الأخيرة في هذه الأجواء، وداخل تلك مقصورة المسماه بالأتوبيس ، وفي عالم أخر..وجدت نفسها مكملة سيرها..والأغنية لا تزال في قلبها

ودعني من غير ما يسلم

وكفاية قلبي أنا مسلم

دي عنيي دموعها...دموعها بتتكلم

حياتها رحلة طويلة، محطاتها كثيرة..أناس يمرون مر الكرام، وأخرين علامات فاصلة..لا تتغير ملامحهم في عينيها مهما مرت السنون بغبارها لتمحي تلك المعالم من ذاكرة الوجدان

إشارة حمراء..قف، تتذكر من أسائوا إليها، وأثرهم، جرحٌ في قلبها..فتبتسم برضا
فتقول لنفسها، أنا لا أقف هنا..

تجد الإشارة الخضراء وقد أنارت دربها..فتكمل سيرها
و تهتز في حركات منتظمة..فالسائق يأخذها يمنة و يسرة
ويعلو صوت نجاة على صوت المحركات

على نار الشوق أنا حاستنى

واصبر قلبي وأتمنى

على بال ما تجيني وأتمنى

طمعني بقربك..اهه و أوعدني

ثم يوشك الإقتراب من منحىخطر.. فتهدئ السرعة، وإشارة صفراء..قد أثارت داخلها قلقا و إضطرابا

خايف للغربة تحلالك

والبعد يغير أحوالك

خليني دايما على بالك

تلتقط أنفسها ، وتحمد لله..أن مرت بسلام، فقد كانت سرعتها عالية والمنحنى قريب، من ستره أنها لحقت نفسها قبل فوات الأوان

ثم يقف الأتوبيس، لينزل بعض الركاب و يصعد أخرين فيكملوا الرحلة معها..وتتسائل ..من إذا ما بدأت رحلتها معه، سيستطيع أن يكمل المسير حتى النهاية، ما وصفه، شكله، لونه، طباعه...

تسرح في عالم من الخيال اليقظ ...فيغلبها النعاس من كثرة التفكير..والأغنية لا يزال صداها يتردد في قلبها

ثم فجاء، يتوقف السائق بعنف..فيرتطم رأسها بالمقعد الأمامي
في فزع، مستيقظة، ومتسائلة....ماذا حدث ، هل من خطب

تجيبها المرأة العجوز..حادثة، لكن الله سلم يا بنتي
فترد، والخوف يطل من قلبها، فاتحا شباك أعينها على مصراعيه..هل تأذى أو جرح أحد

وتنزل من السيارة لتطمئن..إلا أتها تجده أمامها

فينظر في عينيها، قائلا، أنا من كان سيكمل الطريق معك..إلا أنك قد أصبتيني في مقتل
فتنهمر دموعها..ولا تجد ما تقوله
حارة تلك الدموع، وعزيزة على أن تنزل عليه..

لكن، من هو..وكيف كل هذا الحزن والأسى عليه

فتجد يد حانية فوق كتفيها..إنها المرأة العجوز
أفيقي يا فتاتي ، فقد وصلنا للتو

ما الذي كان يبكيكي..فدموعك أغلى من أنها تنسى في حلم

في صمت حزين...تلمم ما تبقى من ذلك الفزع، ثم تجد أن الأغنية لا تزال مستمرة معها، حالها حال لك المرأة العجوز التي تشبهها، وقد أكملت الطريق معها للنهاية

مهما كان بعدك حيطول
أنا قلبي عمره ما يتحول
حافتكرك أكتر من الأول
بس إنت أيام تبقى فاكرني
يا مسافر وحدك، وفايتني
ليه تبعد عني، وتشغلني